

علاقة الإعلام الرقمي على منصات التواصل
الاجتماعي باتجاهات الرأي العام للشباب الأردني إزاء
جرائم الشرف: دراسة مسحية ميدانية – فيسبوك

الباحثة: كفاية محمد مصطفى الموسى

إشراف: د. ليلى أحمد طاهر جرار

الجامعة: جامعة الشرق الأوسط – كلية الإعلام –

عمان، الأردن

<https://jeahs.com/index.php/jeahs/article/view/611>



إعداد

محمد خالد الديباس

مقدمة

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة القائمة بين الإعلام الرقمي المتاح عبر منصات التواصل الاجتماعي، وتحديدًا منصة فيسبوك، وبين اتجاهات الرأي العام لدى الشباب الأردني فيما يخص قضية جرائم الشرف. وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي المسحي الذي يسعى إلى رصد الظاهرة كما هي في الواقع ووصفها وصفاً دقيقاً، مع الاستعانة بأداة الاستبيان لجمع البيانات من عينة ممثلة من الشباب الأردني. واستندت الباحثة في إطارها النظري إلى نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام باعتبارها المدخل الأنسب لتفسير كيفية اعتماد الشباب على المنصات الرقمية في تكوين آرائهم واتجاهاتهم حول هذه القضية المجتمعية الحساسة. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ذات دلالة بين مستوى تعرض الشباب للمحتوى الرقمي المتعلق بجرائم الشرف على فيسبوك وبين تشكّل اتجاهاتهم نحو هذه القضية، سواء من حيث الوعي بأبعادها القانونية أو من حيث المواقف الاجتماعية تجاهها.

عرض المدخل النظري

١. نشأة النظرية وسياقها التاريخي

تُعَدّ نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام من أبرز النظريات التي أسهمت في تطوير الفهم العلمي لطبيعة العلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام. وقد صاغ هذه النظرية الباحثان ساندرا بول روكيتش وملفين ديفلير في منتصف سبعينيات القرن العشرين، حين قدّماها كإطار نظري شامل يسعى إلى تجاوز القصور الذي اعتري النظريات الإعلامية السابقة التي كانت تنظر إلى عملية التأثير الإعلامي من زاوية واحدة فقط، إما من زاوية قوة الرسالة الإعلامية وقدرتها على التأثير المباشر، أو من زاوية الجمهور النشط الذي يختار ما يريد ويرفض ما لا يناسبه. فجاءت نظرية الاعتماد لتقدّم تصوراً أكثر شمولية يأخذ بعين الاعتبار تعقيد العلاقة بين النظام الإعلامي والنظام الاجتماعي والجمهور بوصفها علاقة تبادلية متشابكة لا يمكن اختزالها في اتجاه واحد.

عرض المدخل النظري

وقد نشأت هذه النظرية في سياق تاريخي شهد تحولات كبرى في منظومة وسائل الإعلام الجماهيرية، حيث تزايدت قنوات الاتصال وتنوعت مصادر المعلومات، مما جعل فهم أسباب لجوء الأفراد إلى وسائل إعلامية بعينها دون غيرها أمراً بالغ الأهمية في حقل الدراسات الإعلامية.

عرض المدخل النظري

٢. الفروض والمبادئ الأساسية للنظرية

تقوم نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام على مجموعة من المبادئ والفروض المترابطة التي تشكّل بنيتها الفكرية. والفرض المحوري في هذه النظرية يتمثل في أن الأفراد يعتمدون على وسائل الإعلام لتحقيق أهداف معينة ترتبط بحاجاتهم المعرفية والوجدانية والسلوكية. وكلما ازداد اعتماد الفرد على وسيلة إعلامية محددة للحصول على المعلومات وفهم الواقع المحيط به، ازداد تأثير هذه الوسيلة في تشكيل معارفه واتجاهاته وسلوكه. ولا يتوقف الأمر عند حدود العلاقة بين الفرد والوسيلة الإعلامية، بل يمتد ليشمل العلاقة بين النظام الإعلامي والنظام الاجتماعي بأكمله، إذ تتشابك المصالح وتتبادل التأثيرات بين وسائل الإعلام والمؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

عرض المدخل النظري

٢. الفروض والمبادئ الأساسية للنظرية

وتفترض النظرية أن درجة اعتماد الفرد على وسائل الإعلام تتفاوت تبعاً لعدة عوامل، من أبرزها: طبيعة المجتمع ودرجة استقراره، فكلما زادت حالة عدم اليقين أو الغموض في المجتمع ازداد اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام لفهم ما يجري من حولهم. كذلك تتفاوت هذه الدرجة وفقاً لطبيعة الموضوع نفسه، فالقضايا التي يصعب على الفرد الإلمام بها من خلال خبرته المباشرة تجعله أكثر اعتماداً على الوسيلة الإعلامية كمصدر رئيسي للمعرفة.

وتحدد النظرية ثلاثة أنواع رئيسية من الأهداف التي يسعى الأفراد إلى تحقيقها من خلال اعتمادهم على وسائل الإعلام: أولها أهداف الفهم، وتتضمن فهم الذات وفهم العالم المحيط وإدراك أبعاد الأحداث والقضايا. وثانيها أهداف التوجيه، وتشمل التوجيه السلوكي الذي يساعد الفرد على اتخاذ قرارات في حياته اليومية، والتوجيه التفاعلي الذي يمكنه من التعامل مع الآخرين.

وثالثها أهداف التسلية، التي تتعلق بالترويح عن النفس والهروب من ضغوط الحياة اليومية.

عرض المدخل النظري

٣. العلاقة الثلاثية في النظرية

من أهم ما يميز نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام أنها لا تتعامل مع التأثير الإعلامي بوصفه عملية خطية بسيطة تنتقل من المرسل إلى المستقبل، بل تضعه في إطار منظومة ثلاثية الأبعاد تجمع بين النظام الإعلامي والنظام الاجتماعي والجمهور. فالنظام الإعلامي يؤثر في النظام الاجتماعي ويتأثر به، والجمهور يتفاعل مع كليهما بدرجات متفاوتة. وهذه الرؤية المنظومية تجعل النظرية أكثر قدرة على استيعاب التعقيد الذي يتسم به المشهد الإعلامي المعاصر، خاصة في ظل البيئة الرقمية التي تداخلت فيها الأدوار بشكل غير مسبوق، فلم يعد الجمهور مجرد متلقٍ سلبي بل أصبح مشاركاً في إنتاج المحتوى ونشره والتفاعل معه.

٤. تطور النظرية في البيئة الرقمية

شهدت نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام تطوراً ملحوظاً مع ظهور الإعلام الرقمي وانتشار منصات التواصل الاجتماعي. فالبيئة الرقمية الجديدة أضافت أبعاداً مختلفة لمفهوم الاعتماد لم تكن موجودة في عصر الوسائل التقليدية. فالفرد لم يعد يعتمد على مصدر إعلامي واحد بل أصبح أمامه عشرات المنصات والمصادر الرقمية التي يمكنه التنقل بينها بسهولة وسرعة. كما أن طبيعة التفاعل تغيرت جذرياً، إذ أصبح المستخدم قادراً على التعليق والمشاركة وإعادة النشر والتعبير عن رأيه بشكل فوري، مما أعطى بُعداً جديداً لمفهوم الاعتماد يتجاوز مجرد تلقي المعلومات إلى المشاركة في صناعتها وتداولها. ويرى عدد من الباحثين العرب أن منصات التواصل الاجتماعي أصبحت تمثل المصدر الأول الذي يعتمد عليه الشباب العربي في الحصول على الأخبار والمعلومات وتكوين الآراء حول مختلف القضايا، وهو ما يعزز أهمية هذه النظرية في تفسير سلوك الجمهور في العصر الرقمي. فقد أشار الديبسي (٢٠٢٢) إلى أن الإعلام الرقمي فرض واقعاً جديداً يتطلب إعادة النظر في المداخل النظرية التقليدية وتطويرها لتستوعب خصائص البيئة الرقمية المتغيرة.

تحليل مدى ملائمة النظرية للدراسة

أوجه الملاءمة والتوافق

تتضح ملائمة نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام لهذه الدراسة من عدة جوانب مترابطة. فمن حيث طبيعة الموضوع، تتناول الدراسة قضية جرائم الشرف وهي قضية مجتمعية حساسة ومعقدة يصعب على الفرد العادي الإلمام بجميع أبعادها القانونية والاجتماعية من خلال خبرته الشخصية المباشرة فقط، مما يجعله أكثر اعتماداً على وسائل الإعلام، وتحديدًا المنصات الرقمية، للحصول على المعلومات وتكوين موقف واضح تجاه هذه القضية. وهذا يتوافق تماماً مع الفرض الأساسي للنظرية الذي يؤكد أن الأفراد يزداد اعتمادهم على وسائل الإعلام كلما تعلق الأمر بقضايا تتجاوز حدود خبراتهم المباشرة.

تحليل مدى ملائمة النظرية للدراسة

أوجه الملاءمة والتوافق

ومن حيث خصائص العينة المدروسة، فإن الشباب الأردني الذي يمثل مجتمع الدراسة هو الفئة الأكثر استخداماً لمنصات التواصل الاجتماعي واعتماداً عليها كمصدر رئيسي للمعلومات والأخبار. وقد أثبتت دراسات عديدة أن الشباب العربي عموماً والأردني خصوصاً يعتمد بشكل متزايد على فيسبوك وغيره من المنصات في تكوين آرائه حول القضايا المجتمعية المختلفة. وقد أشارت دراسة الصراريرة والشمائلة (٢٠٢٠) إلى أن الشباب الأردني يتفاعل بكثافة مع المحتوى المنشور على منصات التواصل الاجتماعي وأن اتجاهاتهم تتأثر بشكل ملموس بما يتعرضون له من رسائل إعلامية رقمية. كذلك أكدت دراسة الخصاونة والعتوم (٢٠٢٠) أن وسائل التواصل الاجتماعي باتت تلعب دوراً محورياً في تشكيل وعي الشباب الأردني وتوجيه اتجاهاتهم..

تحليل مدى ملائمة النظرية للدراسة

أوجه الملاءمة والتوافق

ومن حيث الأهداف البحثية، فإن الدراسة تسعى إلى الكشف عن العلاقة بين التعرض للإعلام الرقمي وتشكّل الاتجاهات، وهو صلب ما تطرحه نظرية الاعتماد التي تربط بين درجة اعتماد الفرد على الوسيلة الإعلامية وبين التأثيرات المعرفية والوجدانية والسلوكية التي تنتج عن هذا الاعتماد. فالنظرية توفر إطاراً تفسيرياً واضحاً لفهم كيف يؤدي اعتماد الشباب على فيسبوك في متابعة قضايا جرائم الشرف إلى تشكيل معارفهم حول أبعاد هذه الجرائم، وصياغة مواقفهم العاطفية تجاهها، وتوجيه سلوكهم في التعامل معها.

تحليل مدى ملائمة النظرية للدراسة

أوجه القصور والتحفظات

على الرغم من الملاءمة الواضحة لنظرية الاعتماد مع موضوع الدراسة، إلا أن هناك بعض جوانب القصور التي ينبغي الإشارة إليها من باب التحليل النقدي المتوازن. فالنظرية في صياغتها الأصلية صُممت لتفسير العلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام التقليدية ذات الاتجاه الواحد، حيث تقوم المؤسسات الإعلامية ببث الرسائل ويقوم الجمهور بتلقيها. أما في بيئة التواصل الاجتماعي فالأمر مختلف تماماً، إذ أصبح المستخدم منتجاً للمحتوى ومستهلكاً له في الوقت نفسه، وأصبحت عملية التأثير متبادلة ومتعددة الاتجاهات بين المستخدمين أنفسهم وليس فقط بين المؤسسة الإعلامية والجمهور.

كذلك فإن النظرية تركز على مفهوم الاعتماد كمتغير رئيسي في تفسير التأثير، لكنها قد لا تستوعب بشكل كافٍ تعدد المصادر التي يتعرض لها المستخدم في البيئة الرقمية وتداخلها. فالشاب الأردني الذي يتابع قضايا جرائم الشرف على فيسبوك لا يتلقى المعلومات من مصدر واحد بل من عشرات الصفحات والحسابات والتعليقات والمشاركات التي تتقاطع وتتناقض أحياناً، مما يجعل تحديد مصدر التأثير الرئيسي أمراً بالغ الصعوبة.

تحليل مدى ملائمة النظرية للدراسة

٣. إمكانية تعزيز الإطار النظري

كان من الممكن تعزيز الإطار النظري للدراسة بدمج نظرية الاعتماد مع مداخل نظرية مكملة تُثري التحليل وتُعمّق الفهم. فنظرية الاستخدامات والإشباع، التي تُعدّ الأكثر توظيفاً في دراسات الإعلام الرقمي العربية كما أشارت الدراسة النقدية المهمة المنشورة في لباب الجزيرة (٢٠٢٣)، كان يمكنها أن تُكمل ما تطرحه نظرية الاعتماد من خلال الكشف عن الدوافع والحاجات التي تقف وراء استخدام الشباب لمنصة فيسبوك في متابعة هذا النوع من القضايا. كذلك كان يمكن الاستعانة بنظرية تحليل الأطر الإعلامية لفهم كيفية تأطير قضية جرائم الشرف في المحتوى الرقمي وأثر ذلك على إدراك الجمهور لها.

الخاتمة

في ضوء ما سبق عرضه ومناقشته، يمكن القول إن اختيار الباحثة كفاية الموسيقى لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام كمدخل نظري لدراساتها كان اختياراً مناسباً إلى حد كبير. فالنظرية وفّرت إطاراً تفسيرياً متماسكاً يتلاءم مع طبيعة المشكلة البحثية التي تدور حول العلاقة بين التعرض للإعلام الرقمي وتشكّل اتجاهات الرأي العام. وتتجلى هذه الملاءمة في أن موضوع جرائم الشرف هو من الموضوعات التي يحتاج الفرد فيها إلى مصادر إعلامية لفهم أبعادها المختلفة، وأن الشباب هم الفئة الأكثر اعتماداً على المنصات الرقمية، وأن أهداف الدراسة تتقاطع مباشرة مع فروض النظرية حول العلاقة بين درجة الاعتماد ونوع التأثير ومستواه.

غير أن الدراسة كانت ستكتسب عمقاً أكبر لو تبنت مقارنة نظرية تكاملية تجمع بين نظرية الاعتماد ومداخل أخرى مكملّة. فالمشهد الإعلامي الرقمي بتعقيداته وتشابكاته يحتاج إلى أكثر من نظرية واحدة لاستيعاب جميع أبعاده. وتبقى هذه الدراسة إضافة مهمة للمكتبة العربية في مجال الإعلام الرقمي، لأنها تناولت قضية مجتمعية راهنة بأدوات بحثية منهجية ضمن إطار

نظري واضح المعالم.



مجموعة جامعة
الجميع الذكية
للتعليم القابضة

MIDOCEAN
UNIVERSITY



Thank You

